الأدب الأندلسي

ماذا تعرف عن الأندلس ؟

الأندلس ، اسم أطلقه الفاتحون على ما يسمى اليوم بأسبانيا والبرتغال ، وهي شبه جزيرة إيبيريا

وحدودها: من الشرق : مضيق جبل طارق والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي . ومن الغرب: المحيط الأطلسي . ومن الجنوب : المحيط الأطلسي. ومن الشمال : فرنسا.

التضاريس :

-الهضبة الكبرى وهي تشغل جزءاً كبيرا من مساحتها.

ـ سلاسل من الجبال تكاد تطوق الهضبة.

ـ والسهول المنبسطة المحايدة بين الجبال والهضبة , وتمتد تلك السهول إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط .

ـ الأنهار الكبيرة التي تجري على مدار السنة ، ومن أشهرها الوادي الكبير وهو الاسم التي أطلقه العرب ، وهناك الأنهار الصغيرة , والعيون, والآبار.

والأندلس بلاد حباها الله بالخيرات ، وتتخللها شبكة من الأنهار ، ولذا تكاثرت مدنها فلا تكاد تخرج من مدينة إلى وصلت إلى ريفٍ أو قرية أو بلدة ، ومن مدنها التي ذكرت في التاريخ ، طليطلة وطريف وبلنسية وقرطبة وغرناطة وبرشلونة وإشبيلية ومالقة وألمرية وطرطوشة وطركونة وبجاية وبطليوس وغيرها .

ولقد تميزت بلاد الأندلس بما حباها الله من جمالٍ في الطبيعة، فكثرت منتجاتها الزراعية والحيوانية ، وتعددت الخيرات بها ، واشتملت على كل مكونات الطبيعة من الصحاري والسهول والهضاب والمرتفعات والأودية والشعاب والأنهار والطيور والأزهار ، وغير ذلك .

فتح الأندلس:

فُتحت في أواخر القرن الأول الهجري وأنشأ المسلمون في الأندلس حضارة زهاء 850 سنة وكانت البلاد تحت حكم الإسلام ، وعبّر عنها العرب بأنها جنة من جنان الأرض .

يقول ابن خفاجة رحمه الله :

يا أهـل أندلسٍ لله دركـــــــم :: ماء وظلٌ وأنـــــهار وأشجارُ

ما جنة الخلد إلا في دياركـــــــم :: ولو تخيرت هذي كنت أختار

لا تحسبوا بعد ذا أن تدخلوا سقراً :: فليس يدخل بعد الجنة النار

س / متى فتحت الأندلس ؟ وما الهدف من فتحها ؟

ج/ كان الهدف من فتح بلاد الأندلس ، نشر الإسلام وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية، ولقد فتحت الأندلس في أواخر القرن الهجري الأول ، بين عامي 92 و95 هـ ، وكان فتحها امتدادا لفتح بلاد المغرب على يد طارق بن زياد ومولاه موسى بن نصير ، وكان موسى قائدا للجيش من قبل عبد العزيز بن مروان عامل مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك في دمشق .

ويقسم مؤرخو الأدب الأندلسي عصور الأندلس الأدبية إلى :

1- عصر الولاة.

2- عصر الإمارة.

3- عصر الخلافة.

4- عصر الحجابة.

وهذه كلها عصور أموية.

5- عصر الطوائف والدويلات ، ويعد أزهاها أدبياً ، وأضعفها سياسياً.

6- عصر المرابطين

7- عصر الموحدين

8- عصر بني الأحمر في غرناطة

ثم سقطت بلاد الأندلس في يد النصارى ولا زالت إلى الآن تحت الحكم الأسباني .

الحركة الفكرية والنهضة الأدبية في الأندلس

سطعت في الأندلس شمس العلم والأدب والفن وعرفت بلاد الأندلس في مختلف عهودها طائفةً من أعظم المفكرين والأدباء والشعراء والفنانين الذين أسهموا في بناء الحضارة العربية.

ولقد عرفت الحياة الحضارية والفكرية تطورات مختلفة متبعة تطور تاريخ الأندلس السياسي ، فقد وصلت هذه الحياة ذروة القوة في عهد الخلافة الأموية أيام حكم عبد الرحمن الناصر وولده الحكم ولكنها لم تصل إلى ذروة نضجها الفكري.

ولما انهارت الخلافة الأموية وسادت الفوضى أرجاءَ الأندلس في عهد الفتنة ذوت الحضارة الأندلسية وخبت مظاهرها العمرانية والفكرية حتى جاءت دول الطوائف فاستطاعت على رغم تطاحنها أن تعيد بهاء الحضارة الأندلسية في قصورها ومنشآتها ومجتمعاتها، وعرفت الأندلس في هذه الحقبة المضطربة من تاريخها طائفة من أعظم مفكريها وأدبائها وشعرائها أمثال الفيلسوف ابن حزم (-456هـ) والمؤرخ ابن حيان (-469هـ) والشاعر ابن زيدون (-462هـ) والشاعر الأديب ابن عبدون (-520هـ) وغيرهم ، بل إن ملوك الطوائف أنفسهم كانوا في طليعة

الأدباء والشعراء كالعالم عمر بن الأفطس صاحب بطليوس، والمعتضد والمعتمد صاحبي إشبيلية، والمعتصم بن صمادح صاحب المرية.

ولكن هذه النهضة الفكرية والأدبية ما عتمت أن توقفت عقب استيلاء المرابطين على الأندلس سنة 484هـ. إذ كان هؤلاء المرابطون شديدي التعصب، قساةً غلاظاً، ألفوا الحرب والخشونة فلم تجد دولة الفكر والأدب في ظلّهم مرتعاً خصباً ، ومع هذا فقد تألقت في عهدهم القصير بعض الأسماء أمثال الفيلسوف ابن باجة والفتح بن خاقان وابن بسام صاحب كتاب (الذخيرة) وابن قزمان صاحب الأزجال الشهيرة ، ولكنَّ ظهورهم وظهور أمثالهم في هذه الفترة لم يكن إلاّ امتداداً للنهضة الفكرية التي ازدهرت في عهد ملوك الطوائف.

ثم جاءت دولة الموحدين فانتعشت الحضارة الأندلسية ونشطت حركة التفكير لأن الموحدين كانوا أكثر انفتاحاً على الفكر من المرابطين. فأُفرج عن كتب الغزالي وغيره من مفكري المشرق، وظهرت في هذه الفترة أي في أواخر القرن السادس الهجري أسماء لامعة في الأندلس أمثال ابن الطفيل الإشبيلي (-571هـ) صاحب رسالة حي بن يقظان والفيلسوف ابن رشد القرطبي (-594هـ) .

كما ظهر عدد من أعلام الشعر والأدب مثل أبي القاسم خلف بن بشكوال (-578هـ) وابن بدرون المتوفي في فاتحة القرن السابع وهو شارح قصيدة ابن عبدون الشهيرة في رثاء بني الأفطس ، وازدهرت المعاهد العلمية في أيام الموحدين بالمغرب والأندلس، وكانت المعاهد الأندلسية في إشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ومرسية يومئذ مجمعَ العلوم والمعارف ومقصِدَ الطلاب من كل فج.

ولما اضحملَّ شأن الموحدين وضعف أمرهم بالمغرب والأندلس في أوائل القرن السابع الهجري وبدأت قواعد الأندلس تسقط تباعاً في أيدي الأسبان شُغلت الأندلس بمحنتها وانكمشت فنون السلم واضطربت دولة التفكير والأدب. وقد أثّرت المحنة في نفوس الشعراء فأذكت عواطفهم بشعر اللوعة والأسى.

وانجلت الفتن الداخلية وانجلى الصراع بين إسبانيا المسلمة وإسبانيا النصرانية عن سقوط معظم القواعد الأندلسية بيد الأسبان، وانكمشت الدولة الأندلسية في مملكة غرناطة الصغيرة ، وفي ظل هذه المملكة الصغيرة التي قاومت قرنين من الزمن انتعشت الحركة الأدبية بعد أن آنست جواً من الطمأنينة والهدوء ، ولكن طابع هذه الحركة اقتصر على الشعر والأدب وبقيت الحياة العقلية في حالة من الركود.

وعموما فإن وجود التيارات الفكرية المتعارضة كان له أثره على حركة الأدب ، فمثلا عند نشاط التيارات الماجنة ، تنشط التيارات الإصلاحية ، كما كنا نجد في العصر العباسي عندما ظهر أبو نواس ظهر أبو العتاهية في نفس الوقت.

صلة الأندلس بالمشرق ثقافيا وعلميا

كان شعراء الأندلس يشعرون أن أصولهم من المشرق و صلتهم لم تنقطع معها لا ثقافيا ولا علميا ، وابن عبد ربه لما كتب كتاب العقد الفريد حاول أن ينقل أدب المشارقة إلى أهل الأندلس، وعموما فإنه كلما ظهرت مدرسة أدبية في المشرق رأينا صداها في الأندلس ، وكلما ظهر كتاب في المشرق نجده في المغرب والأندلس ونجد نوعا من التقليد والمحاكاة ، والإعجاب ، من أهل الأندلس بأهل المشرق ، ويلاحظ في الأندلس أنك لا تكاد تجد كاتبا إلا هو شاعر، والعكس صحيح.

وإذا كانت الأندلس قد طمحت إلى الاستقلال السياسي عن المشرق منذ بدء تاريخها فإنها لم تستطع أن تفلت من الخضوع له ، بل كانت تنظر إليه في المجال الأدبي والثقافي متأثرةً أيضاً بالجو الجديد الذي عاشته، وبقي المشرق قبلة الأندلسيين، وكانت الرحلة إلى الشرق في طلب العلم ولقاء الشيوخ أمنيةً يرجوها كل مثقف أندلسي ، حتى إذا ما رحل إلى الشرق عاد لينشر في الأندلس ما حمله من معارف وما أخذه من شيوخ المشرق.

ومن المؤكد أن الحياة الفكرية والأدبية في الأندلس قد أثّر فيها الاختلاط العنصري تأثيراً كبيراً، ولئن كان الأندلسيون قد تأثروا بالحياة الجديدة فقد بقوا مقلدين في آدابهم للمشارقة ، إلاّ في بعض الفنون الشعرية كظهور فن الموشحات الذي نشأ في الأندلس وكان نموذجاً جديداً في الشعر العربي .

وعندما يسافر المرء اليوم إلى بلاد الأندلس ويرى ما تبقّى فيها من آثار عربية ويتجوّل في مسجد قرطبة والقصر في إشبيلية وقصر الحمراء في غرناطة ، ويدخل تلك البيوت البيضاء العربية الإسبانية ، وقد تدلّت من نوافذها أُصصُ الأزهار ، ورقصت في ساحات دورها نوافير المياه ، وتمايلت على حافاتها أشجار النارنج ، عندما يرى المسافر ذلك يتراءى له ذلك المجد القديم العظيم، مجدُ بني أمية ومجد الشرق العربي ، ومجد دمشق ، ورحم الله أحمد شوقي عندما قال:

لولا دمشق لما كانت طليطلة ولا زهت ببني العباس بغدان

==========

روافد الثقافة العربية في الأندلس :

1- الحروب

2- الرحلات : وهي على نوعين:

أ- داخل الأندلس ، ومن أشهر من قام برحلات داخل الأندلس وكتب عنها (ابن الأبار وابن الخطيب الأندلسي)

ب- خارج الأندلس ومن أشهر من قام برحلات خارج الأندلس وكتب عنها (ابن بطوطة وابن جبير)

3- الهجرات : وهي على نوعين :

أ- من بلاد الأندلس ، ومن أهم من هاجر من بلاد الأندلس إلى المشرق (ابن خلدون وابن مالك النحوي صاحب الألفية)

ب- إلى بلاد الأندلس ، ومن أهم من هاجر إلى بلاد الأندلس من المشرق (ابن صاعد اللغوي البغدادي ، وأبو علي القالي صاحب الأمالي ، وزرياب)

==========

بواعث الإبداع في الأندلس:

س / ما الذي حرك أهل الأندلس لإنتاج كل هذه النصوص ؟

لعل أهم بواعث الإبداع في الأندلسي ، هي :

1- الطبيعة الأندلسية :

فالطبيعة مليئة بالصور الجميلة ، والمتمثلة في المناظر الخلابة من ورود وزهور إلى طيور مختلفة الألوان والأشكال إلى غير ذلك.

2- الاختلاط بالعناصر المختلفة :

وقد أحدث هذا نوع من التأثر بالثقافات المختلفة ، وهم القوط والعرب والبربر والموالي ، ثم من أُسر في الحروب من الأوروبيين ، وبيع على أساس أنه مملوك وسموا بالصقالبة ، وكان محركا من بواعث الإبداع في إنتاج الأدب.

3- التقلبات السياسية التي مرت بها الأندلس:

وكانت سببا في نشاط حركة الأدب ، فكل حاكم يريد أن يأخذ الشعراء إليه.

4- المرأة الأندلسية : وهي مكون من مكونات الطبيعة ، وعنصر مهم في الأدب فهي ملهمة الشعراء ، وتميزت المرأة في الأندلس بالجمال الآخاذ ، وهي أديبة أحيانا ، مثل ولادة بنت المستكفي .

5- الحكام الذين كانوا يشجعون على العمل الفكري والأدبي ونذكر منهم عبد الرحمن الناصر .

6- نشاط الغناء والاهتمام به ، ويلاحظ كثرة المغنيات وكانوا سببا من الأسباب المؤثرة في ازدهار الحركة الأدبية : مثل قلم وعجفاء وقمر ، وغيرهن .

==========

اللغات في الأندلس :

كانت اللغة السائدة والرسمية للبلاد هي اللغة العربية ، وعرف بالأندلس اللغة الرومانية واللاتينية (اللاطينية كما يسميها ابن حزم القرطبي) ، بالإضافة إلى اللهجة المحلية ، وهي تشبه كثيراً لهجة المغاربة اليوم ، يظهر ذلك مما تركوه من شعر الزجل .

الديانات في الأندلس:

لاشك أن الهدف من فتح بلاد الأندلس كان توسيع رقعة البلاد الإسلامية ، ونشر دين الإسلام ، ومن هنا كان الدين الرسمي للبلاد الأندلسية هو الإسلام ، إلا أن المسلمين تعايشوا مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى وفرضوا الجزية عليهم ، ولم يسمحوا لبقاء أي ديانة وثنية .

==========

أثر الطبيعة في الأدب الأندلسي:

لقد لحق شعراء الأندلس في شعر الطبيعة شعراء المشرق ثم تقدموا عليهم وفاقوهم فيه و التنوع في موضوعاته والتجديد والابتكار في صوره و أشكاله.
والملاحظ على ما خلفوه من شعر في هذا الفن أنهم لم يقفوا به عند اتجاه واحد ، وإنما نرى لهم فيه اتجاهات شتى ، و لعل منشأ هذا التنوع في الاتجاهات ، راجع إلى أنّ محبتهم لطبيعة الأندلس الجميلة كانت عميقة الجذور في نفوسهم.

و مع تعدد الاتجاهات في شعر الطبيعة الأندلسي ، فإن هناك سمات و خصائص عامة تجمع بينها ثم ينفرد كل اتجاه بعد ذلك بسمات خاصة تقتضيها طبيعته.

وسوف نشير إلى أهم السمات العامة المشتركة، وفيما يلي إجمال لذلك:

1- غلبة التشبيه و الاستعارة على أساليبهم ، فالتشبيه يرينا المعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة و الأشباح القائمة، و الاستعارة تبرز المعاني أبدا في صورة حية مستجدة تزيد قدرها نبلا ، و كلا الأسلوبين : أسلوب التشبيه و أسلوب الاستعارة يدل على خصب خيال وسموه و سعته و عمقه .

2 - تشخيص الأمور المعنوية و تجسيمها ، و ذلك بإبرازها في صورة شخوص وكائنات حيّة ، يصدر عنها كل ما يصدر عن الكائنات الحية من حركات وأعمال، بث الحياة والنطق في الجماد ، لما لذلك من طرافة ووقع حسن في النفوس ومن أمثلة ذلك قول أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي في وصف جبل :

وقور على ظهر الفلاة كأنـــــــه :: طوال الليالي ناظر في العواقب
أصخت إليه و هو أخرس صامت :: فحدثني ليل السرى بالعجائب
وقال: ألا كم كنت ملجأ قاتل :: وموطن أوّاه تبتل تائب

وكم مرّ بي من مدلج و مؤوب :: وقال بظلي من مطي وراكب

فالجبل هو جماد قد تحول بالتوسع الذي هيأته الاستعارة إلى إنسان حي ناطق يروي ما مر به من تجارب.

3- الاستعانة في رسم وتلوين الصور المستوحاة من الطبيعة ببعض فنون البديع المعنوي واللفظي من مثل الطباق والمقابلة والمبالغة، وحسن التعليل ، والجناس ، وهذه قليلة في صور متقدمي شعرائهم، كثيرة في صور متأخريهم.
4- إطلاق العنان للخيال ليرتاد عالم الفكر ، ويختار منه المعاني التي توحي بالحضارة و الطرافة .

5- التصرف في أرق فنون القول واختيار الألفاظ التي هي مادة لتصوير الطبيعة وإبداعها في جمل وعبارات تخرج بطبيعتها وكأنها التوقيع الموسيقي.

6- تصوير شعرهم لطبيعة الأندلس الحية ، و طبيعته الصامتة ، و طبيعته الصناعية الناشئة من استبحار الحضارة والعمران .

7- قلما يأتي شعر الطبيعة عندهم كغرض قائم بذاته، اللهم إلاّ في القطع القصار وعلى هذا فأكثره يأتي ممتزجا بأغراض أخرى كالغزل و المدح والخمر .

==========

التركيبة البشرية للمجتمع الأندلسي:

و نبدأ أولا بالكلام عن عناصر الشعب الأندلسي ، والعناصر التي سادت الأندلس خمسة: العرب ، والبربر، والموالي، والقوط ، والصقالبة.

1- العر ب:

فالعرب كانوا يحسون إحساسا قويا بنوع من الأرستقراطية نابع من غلبتهم على الأسبان و لبربر و إدخالهم في الإسلام و كذلك من لغتهم التي تفوق غيرها ، و لعل شعور التعالي هذا من قبل العرب، هو ماكان يولد ثورة البربر عليهم أحيانا.

وكان العرب في مستهل الفتح قلة بالقياس إلى العناصر الأخرى ثم أخذت أعدادهـم تتكاثر و تنتشر في أنحاء شـبه الجزيرة الأندلسية بفعل الاستــيطان والتوالد بالمهاجرين العرب الذين أخذوا يرحلون إليها أفواجا تلو أفواج بعد الفتح الإسلامي.

2- البربر:

وهم يشاركون العرب في البداوة والإسلام والشجاعة والعصبية القبلية ، وكانوا في أوّل أمرهم أكثر عددا وقوة من العرب وكان تيار هجرتهم متصلا بحكم الجوار.

وقد تأثرت جماعات البربر المستقرة في الأندلس بالبيئة الجديدة تأثرا عظيما، ولم يكد الجيل الأول منهم ينقضي حتى طلع الجيل الثاني أندلسيا قد نسـي أصله واتخذ الأندلس وطنا.

ومن الناحية العقلية كانوا يجتهدون في التعرب : يتعلمون العربية ، ويقبل من له ميل منهم على دراسة الإسلام و التفقه فيه ، ومن الناحية المعاشية ارتبطوا بجيرانهم من أهل البلاد عن طريق المصاهرة ، ومنهم من اتخذ لهم اسما عربيا زيادة في التعرب.

وكانوا أســـرع اندماجا من العرب في البيئة الجديدة ، فـقد حال بين العرب وبين الاندماج السريع الكامل لغتهم واعتزازهم بعصبيتهم العربية، أما البربر فلم يكن هناك ما يحول بينهم و بين الاندماج ، فلا عصبية و لا لغة مكتوبة ، و مع الزمن أصبحت غالبيتهم في جملة العرب الأندلسيين ، و كان لهم أعظم الأثر في بناء الأندلس الإسلامي.

3- الموالي:

وهم مولى بني أمية ، وهؤلاء يمثلون ثلاث طوائف : من دخلوا الأندلس إبان الفتح ، و من دخلوا في ولاء البيت الأموي من أهل البلاد وقد كان لهؤلاء الموالي اليد الطولى في إقامة دولة عبد الرحمن الداخل.

هذه العناصر الثلاثة هي التي دخلت الأندلس مع الإسلام أو بالإسلام و وضعت أساس إسلام الأندلس و عروبته ، أما الجزء الأكبر من عناصر سكان الأندلس ، فهم : المولدون، و أهل الذمة من نصارى و يهود (القوط والصقالبة) .

4- المولدون:

و هم العنصر الناشئ من تزاوج العرب بالبربر ، أو العرب بالإسبانيات والصقالبة ، وقد خرج من هذا الزواج بين عربي و بربرية ، أو عربي وإسبانية جيل جديد مولد يشبه ما كان في الشرق من تزاوج بين عربي و فارسية، و ظل اسم المولدين يطلق على هذا العنصر حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ثم تلاشت هذه التسمية بسبب اختلاط الناس ، و تحول أحوال الدولة الإسلامية في الأندلس إلى أندلسيين دون تمييز ، و من صفات المولدين من النساء الأسبانيات : الشجاعة و الذكاء و الجمال و كان لهم في الأندلس تاريخ طويل.

يضاف إليهم أهل الذمة :

وهم الأسبان الذين بقوا على مسيحيتهم ولم يدخلوا في الإسلام هؤلاء كانوا يرون أن البربر والعرب دخلاء عليهم، وأنهم أحق بملك بلادهم ، ويندرج مع هذا العنصر الإسباني المسيحي يهود البلاد من حيث معاملة المسلمين لهم ، فقد ضمن المسلمون لهذين العنصرين حريتهم وأدخلوهم في ذمتهم ، مقابل الجزية والخراج على ما تقضي به الشريعة الإسلامية.

وفي مستهل القرن الرابع الهجري أنشأ الخليفة عبد الرحمن الناصر جيشا من المماليك يوطد به سلطته، و كان هؤلاء المماليك من " الصقالبة " و هو اسم كانوا يطلقونه على أسرى الحرب

من جميع البلاد الأوروبية ، وعلى من وقع في أيدي المسلمين من الرقيق، وبهذا أدخل الناصر على الأندلس عنصرا جديدا هو عنصر الصقالبة مقلدا في ذلك الخليفة المعتصم العباسي الذي أنشأ جيشا من الأتراك الذي يعتمد عليه لما تعب من العرب.

الأدب الأندلسي في عصر الولاة

95 - 138 هـ

لم يصل أدب كثير عن عصر الولاة ؛ لأنّ هذا العصر اتسمَ بالمنازعات والحروب علماً أنّها كانت فتح للأراضي الأندلسية ، ونشر للإسلام، أمّا الحروب الواقعة فكانت على شكل :

1- الحروب الدِّينية بين المسلمين والإسبان والفرنجة .

2- النِّزاع العرقي بين العرب والبربر .

3- الصِّراع القبليّ بين العرب أنفسهم، قحطانيين (جنوب) وعدنانيين (شمال).

وقد حكم في أثناء حكم الولاة قرابة أربعة وعشرين والياً في أقلِّ من نصف قرن من الزَّمن .

وكان جُلُّ هَمَّ الداخلين من الفاتحين المسلمين (العرب والبربر) هو تطبيقُ (الأحكام الشرعية) فيما يخصّ الغنائم ، والضَّرائب وتخطيط المساجد ، وتفقيه النَّاس ، وتعلّم اللغة العربيَّة لغير العرب من الفاتحين ، وتعدُّ هذه الحقبة برجالها همُ الأوائل الذين أسسّوا المدارس الأندلسية في قرطبة واشبيلية ، وكان شغلهم الشاغل بشكله العام هو تدريس كتاب الله تعالى وسنةَ رسوله **(صلى الله عليه وآله)**.

وأن هذا القدر من الثَّقافة المتواضعة يمثل الخيوط الأولى لفجر الثَّقافة الأندلسيّة ، وهي البذور الأولى للأدب الأندلسي ، فمثلاً في باب الشعر:

حفظت لنا المراجع أسماء قِلَّة من الشعراء الذين وطؤوا أرض الأندلس مثل **:(أبو الأجرب جعونة بن الصِمَّة)** وهو عربي دخل الأندلس ، وهجا **"الصُّميل بن حاتم"** رئيس القيسية ، ثم عاد إلى مدحه بعد أن التقيا على الصُلح .

وقد نقل د. أحمد هيكل عن مراجع أندلسية مثل :

ابن سعيد في المُغْرب، والضَّبي في بُغية المُلْتَمِس ، والحُميدي في جذوة المقتبس ، والمَقّري في نفح الطيب :

إنّ الشَاعرَ "جعونة بن الصِمَّة" في الأندلس كان في مرتبة جرير والفرزدق في المشرق ، وروي أن أبا نواس سأل عباس بن ناصح الأندلسي في العراق عن الشَّاعر جعونة بن الصِمَّة، وطلب أن يسمع شيئاً من شعر جعونة ، وسأل أبو نواس عن الشَّاعر بكر الكنائيّ أيضاً . (يُنظر :الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة د. أحمد هيكل ص62، 63، 64، 65، 66، وينظر هامش ص66 رقم (1)) وكذا : ص7 هـ 4 عن نفح الطيب 56/2 ط الأزهرية 1302 هـ) .

من شعر جعونة بن الصِمَّة قوله :

ولقـــــد أرانـــي مـــن هوايَ بمنـــزلٍ

عالٍ ورأســـــــــي ذو غدائـــــــر أفرعُ

والعيـــــشُ أغيـــــدُ ساقـــــطٌ أفنانـُهُ

والمـــــــاءُ أطيبـُـــهُ لنـــــا والمرتَـــــعُ

ومن شعراء ذلك العهد **"أبو الخطّار حسام بن ضِرار" ت130هـ** ، وكان من أشراف القحطانيين في الأندلس ، وقد شهد فتوح المسلمين بأفريقيا ، وأبلى فيها بلاءً حسنا ، ووفد والياً على الأندلس عام 125هـ - 742م ، أيام حُكُم هشام ابن عبد الملك .

وكان "أبو الخطَّار حسام بن ضِرار الكلبي" ، شاعراً فارساً ؛ لذا لُقب بـ"عنترة الأندلس"، ولكنَّ شعـــر "ابـــن ضـــــرار" مثـــل شعر "جعونة بن الصِمَّة" في قلته وندرة ما وصل إلينا، كقوله في ثأر أخذه لعزيز من قومه :

فليـــــتَ ابـــــن جَوَّاسٍ يُخبـَّـــــرُ أننـــــي

سَعيـــْـــتُ بـــه سعـــــي أمرئٍ غيـــرِ غافـــلِ

قتلـــــــتُ بـــــه تسعيـــنَ تحْسـَـبُ أنَّهـم

جذوعُ نخيـــــلٍ صُرِّعـَـــــتْ بـــالمســـايـلِ

فلـــو كانـــــت الموتـــى تُباعُ اشتريتـــُـهُ

بكفـــــيِّ ، ومـــــا استثنيتُ منهـــا أناملـــــــي

وهناك شعراء كثيرون ، لكن ضاعت أشعارهم كما ضاعت أسماؤهم .

<u>خصائص الشِّعر الأندلسي في عصر الولاة:</u>

إنّ هذه الخصائص وضعت في ضوء الشِّعر القليل الذي وصل إلينا ، وهو لا يمثل عصر الولاة بالتأكيد ؛ بسبب :

1- قلَّة هذا الكمِّ الشِّعري الَّذي وصل إلينا .

2- ضياع المجموع الأكبر منه؛ لذا ستكون هذه الخصائص في ضوء ما وصل إلينا من شعر ، لا على شعر العصر كله ، فهذا أمر غير منطقي وليس بعلمي .

3- لا يمكن أن نطلق على الشِّعر الذي قيل في الولاة بأنه أندلسيّ سوى أنَّه قيل في الأندلس ، فقائلوه هم من المشارقة الَّذين وفدوا على الأندلس أيام الفتح .

4- الشِّعر كان محافظاً بقدر الموضوعات التي طرحها الشُّعراء، وليس كما قال د. أحمد هيكل من أنه كما كان محافظاً في المشرق، إذا ما قِيسَ بجرير والفرزدق فهو في المحافظة سواء .

5ـ كانت أغراض الشِّعر الذي قيل تُحاكي متطلبات عصر الولاة مثل : الفخر، والهجاء، والمديح، والحماسة ، كما قرأنا في النماذج المذكورة آنفاً.

النَّثــر الأندلسي فــي عصــر الـولاة

على الرغم من قِلّة التُّراث النَّثري في عصر الولاة ، إلَّا أنّه أكثر كمّاً من الشِّعر ؛ نتيجة لطبيعة المرحلة السِّياسيَّة السَّائدة ، وما يترتب عليها من حاجة المرحلة للـ"خطابة" في ظروف الحرب والنِّزاعات القبلية، والمناسبات السِّياسية والدِّينية، وكان كثيراً ما يستمع الجند إلى الوعّاظ والدّعاة في أثناء فتح المدن ؛ من أجل رفع معنوياتهم، وتثبيتهم في أرض المعركة .

والكتابة "النَّثر" ضرورة تقتضيها ظروف الفتح وشؤون الحكم ؛ من أجل تسيير أمور الحاكمين مع الرعية كـ (عهدٌ يُعطى وصُلحٌ يُبْرم، ورسالةٌ توجّه) . (الأدب الأندلسي "هيكل" : ص 65).

ويُزادُ على ذلك المناسبات الرَّسميّة والشَّخصيّة ، ومن هذه النماذج **عهد الصلح الذي كتبه عبد العزيز بن موسى بن نصير لأحد حكام القوط (تدمير) :**

(بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز إلى تدمير أنَّه نزل على الصُلح ، وأنَّه له عهدُ الله وذمَتُهُ ، أن لا ينزعُ عن ملكِهِ ، ولا أحدٌ من النصارى عن أملاكهِ ، وأنَّهم لا يُقْتَلُون ، ولا يُسْبَونَ أولادَهم ونساءَهم ، ولا يُكْرَهون على دينهم ، ولا تَحْتَرِق كنائَسهم ، وما تُعُبِّد ونُصح ، وأنَّه لا يأوي لنا عدواً ، ولا يخون لنا أمناً ، ولا يَكْتِمُ خبراً عَلِمَه ...).(البيان المُغْرب ، لابن عذاري : ج2 /ص67)

ومن الكُتّاب الآخرين **خالد بن يزيد كاتب يوسف الفهري** أحدُ الولاة وكذلك الكاتب **أُميَّة بن يزيد** الذي دخل مع جنود **"بَلْج بن بشر"** ،

<u>الخطبــــة (النَّثــــر)</u>

إنّ النُصوص القليلة التي وصلت إلينا تُعطي صورة عن الموضوعات التي تناولها من مسائل الدِّين ، وشؤون السِّياسة ، وأحوال القبائل (على شكل خطب) ، وعالجت العهود ، والرَّسائل والتوقيعات (على شكل كتب رسمية) .

أمّا خصائصه الفنية :

على وفق ما وصل إلينا من نصوص ، فهو نثر يميل إلى:

- الإيجاز .
- ويُعنى بقوة العبارة أكثر من عنايته بالتزويق اللفظي .
- النُّصوص النَّثرية خالية من المقدمات ، والألقاب الكثيرة ، والرسوم المترتبة عليها .

وأن كتّاب النثر في الأندلس مثَلهُم مَثَلُ شعراء تلك الحقبة هم من المشارقة الذين دخلوا مع قادة الفتوح (الأدب الأندلسي "هيكل " 70 – 71) .

كلام في الأدب المنسوب إلى القائد الإسلامي البطل طارق بن زياد

"هناك نصَّان منسوبان إلى القائد طارق بن زياد في عصر الولاة"

النّصُّ الأوّلُ: الشِّعر

ركبنـــــا سفينـــــاً بالمجـــاز مقيـَّرا

عســى أن يكـون الله مِنـــَّا قـــد اشترى

نفوســـــاً وأمـــوالا وأهـــــلا بِجَنَّـــة

إذا مـــا اشتهينـا الشَّـــيءَ فيهـــا تيســـرا

ولسنا نُبالـــي كيـــف ســـالـــتْ نُفُوسُنَا

إذا نـــحـــن أدركنـــا الـــذي كـــان أجـــــدرا

النَّص الثَّانيَّ : الخطبة

تناولت المصادر التأريخية و الأدبية خطبة القائد الإسلامي طارق بن زياد؛ لكونها تمثل البذرة الأولى لفتح بلاد الأندلس ، ولو صحّت نسبة الخطبة والأبيات الثلاثة ـ على رأي الأغلبية من دارسي الأدب الأندلسي) لهذا القائد الكبير التي يحاول الكثير من الباحثين التشكيك بنسبتها إلى هذا القائد الكبير، وكأنَّهم يريدون النيل من شخص هذا الفاتح الذي ثَقُل عليهم الاعتراف بإنجازاته العسكرية وإطرائه كما تفعل الدول مع قادتها وفاتحي البلدان، وإلَّا فستكون الخطبة أقدم نصّ نثري وصل إلينا ،

وأول ما يلاحظ على هذه الخطبة أنّها لا ترد في المصادر التاريخية الأندلسية التي تناولت أوليات الفتح الإسلامي، علما أن أقدم نصٍّ ورد إلينا بطريق مشرقي هو نصُّ ابن خلكان "ت681هـ "، في كتابه (وفيات الأعيان) ، وكما يرى د. منجد أنَّ صاحب كتاب (نفح الطِّيب) للمقري التلمساني ت 1041هـ ، نقل نصَّ الخطبة من ابن خلكان مستهلاً قوله بـ(قال بعض المؤرخين) .

نصُّ الخُطبة :

((أيها الناس، أين المفر؟ البحر وراءكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنّكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصون من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً، ذهب ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية؛ فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وأنّ إنهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وانى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة؛ ولا حملتكم على خطة- أرخص متاع فيها النفوس- أبرأ منها بنفسي . وأعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً، استمعتم بالألذ الأرفة طويلا .

(نفح الطيب : ج1 / ص 112)

ومن جملة الشكوك التي توجهت إلى الخطبة أنَّ المعلومات التاريخية التي وردت فيها كانت مغلوطة ، فقد جاءت كلمة (اليونان) وربما جاءت الكلمة خطأً؛ لتحقيق السجع والمعتاد أن يذكر الرومان أو القوط ، أو العلوج ، أو العجم أو المشركين والكفار، في مثل هذا المقام، ولو ذكر (الرومان) ؛لجاز لأنهم يمثلون عنصراً من عناصر المجتمع الاسباني.

عصر الإمارة 138- 316هـ :

عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام (756-708 م) من أحفاد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وأحد القلائل الناجين من المذابح التي أقامها العباسيون للأمويين (750 م) فر إلى الأندلس ثم استولى على الحكم. عمل عبد الرحمن ثم ابنه هشام ثم حفيده الحكم على إرساء و تقوية دعائم الدولة الجديدة، قاموا بتوحيد أراضي الأندلس الإسلامية و حاربوا الممالك النصرانية في الشمال.

واذا نظرنا لحالة الأدب لوجدناه متطبعا بالطابع المشرقي، فالشعراء يسيرون فيه على تقاليد المدرسة المشرقية المحافظة، غير ان هناك سمات ثلاث تميز شعراء تلك الفترة عن شعراء المشرق وهذه السمات هي:

1-التجديد الموضوعي: بمعنى طرق موضوعات جديدة أو موضوعات قديمة ولكن بطريقة جديدة، كمعالجة الشاعر أبي المخشي للعمى، الذي قاده إليه لسانه ، فقد كان ذا بذاء زائد ، يتسرع به لايردعه عنه شيئاً وكان هشام بن الحكم قد سمل عينيه بعد ان عرّض به ، في قصيدته التي أولها:

وليسوا مثل من إن سيل عرفا يقلّب مقلة فيها اعورارُ

ومن شعره قصيدته التي يمدح بها عبد الرحمن الداخل والتي عبر فيها عن مأساته ، قائلا:

خَضَعَتْ أُمُّ بَنَاتِي لِلْعِدَا إِذْ قَضَى اللهُ بِأَمْرٍ فَمَضَى
وَرَأَتْ أَعْمَى ضَرِيرًا إِنَّمَا مَشْيُهُ فِي الأَرْض لَمْسٌ بِالْعَصَى
فَبَكَتْ وَجْدًا وَقَالَتْ قَوْلَةً وَهْيَ حَرَّى بَلَغَتْ مِنِّي المَدَى
فَفُؤَادِي قَرِحٌ مِنْ قَوْلِهَا مَا مِنَ الأَدْوَاءِ دَاءٌ كَالْعَمَى
وَإِذَا نَالَ الْعَمَى ذَا بَصَرٍ كَانَ حَيًّا مِثْلَ مَيْتٍ قَدْ ثَوَى

ليس هذا الشعر من أشعار الفكرة، فليس في القصيدة ركيزة فكرية، وإنما فيها عاطفة حزينة، وثورة منكسِرة تعبّر عن عجزها واستسلامها للقضاء النازل، والكارثة التي اعترضت حياة الشاعر فبدَّلت نهاره ليلاً وسعادته شقاء، وشموخه ذُلاً وانكسارًا، وانعكس ذلك بلا شكٍّ على زوجته وبناته.

2- التركيز العاطفي: وهو تركيز الشاعر على عواطفه ونقلها عبر نصه الشعري.

3- التجويد الفني: ويعني ايصال المعنى بطريقة الايحاء. ومن ابرز شعراء تلك الفترة: عبد الرحمن الداخل: عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية في الأندلس الملقب بصقر قريش.

كان عبد الرحمن شاعرًا مجيدًا وكان يحن الى الشام ويتشوق لها ومن شعره هذه الأبيات التي تعبر عن شوقه لربوع الشام التي نشأ فيها، حيث قال :

أيها الراكب الميمم أرضي
أقر من بعضي السلام لبعضي
إن جسمي كما علمت بأرض
وفـــــــؤادي ومالكيه بأرض
قدّر البيــن بيننا فافترقنا
وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا
فعسى باجتماعنا سوف يقضي

يحيى بن الحكم البكري الجياني (156هـ - 250 هـ)

الشهير بلقب يحيى الغزال، هو شاعر أندلسي عاصر خمس أمراء للدولة الأموية في الأندلس، وبرع في شعر الغزل والحكمة. وقد سمي بالغزال لجماله وظرفه وتأنقه وقيل إن الغزال لقبٌ لزمه، حين دخل على الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط فاستقبله مرة بشطر من الشعر، فقال: «جاء الغزال بحسنه وجماله»، وأجاز الغزال شطر الأمير فقال:

قال الأمير مداعباً بمقاله جاء الغزال بحسنه وجماله
أين الجمالُ من امرئ أربى على متعدد السبعين من أحواله

تأثر يحيى الغزال بشعر أبي نواس وأبي تمام في عام 225 هـ، كلفه الأمير عبدالرحمن الأوسط بسفارة إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس ردًا على سفارة كان الإمبراطور أرسلها لطلب ود عبد الرحمن. كما أرسله عبد الرحمن في سفارة أخرى إلى بلاط هوريك الأول ملك النورمان في رحلة عاد منها بعد عشرين شهرًا عام 232 هـ.

شعر الغزال:

نَظم الغَزالُ، في أغراض شَتى من الشّعر: الغَزل والهِجَاء والتعريض، والمَدْح، والوَصْف، والحكمة، والتأمّل في شؤون الحياة، وبَرزتْ مقدرته على مُعالجة النقد الاجتماعيّ في موضوعات متعدّدة، ومن أغراض الشاعر البارزة في شعره الباقي الهجاء والتعريض، ويبرز في شعر النقد الاجتماعي قضايا الغنى والفقر، وعلاقة الرّجُل والمَرأة، والألعاب المُلِهية، واستغلال النفّوذ، وكان للشّاعر نَفَسٌ ممدودٌ في التعّبير عن ظُروفِ حياته. ومن شعره الساخر:

إذا أُخبرتَ عن رجل بريءٍ من الآفات ظاهره صحيحُ
فَسلْهُم عنه: هل هو آدميّ ؟ فإن قالوا نعم فالقول ريحُ
ولكن بعضنا أهل استتار وعند الله أجمعنا جريح
ومن إنعام خالقنا علينا بأن ذنوبنا ليست تفوح

فلو فاحت لأصبحنا هروبا فرادى بالفلا ما نستريح
وضاق بكل منتحل صلاحا لنتن ذنوبه البلد الفسيح

ومما يميزه بين شعراء الأندلس ميزتان كبيرتان الأولى: قيام شعره على النظرة الساخرة، ووضوح نظراته الفلسفية القائمة على تجربيته، وهما خاصيتان عزيزتان في الشعر الأندلسي.

ومن شعره في الحكمة، قوله:

وخيرها أبوها بين شيخ كثير المال أو حدثٌ فقير
فقالت كلاهما خسف وما أن أرى حظوة للمستخير
ولكن إن عزمت فكل شيء أحب إليّ من وجه الكبير
لأن المرء بعد الفقر يثرى وهذا لا يعود إلى صغير

كان بصيرا نافذا بالنقد في شبابه أيام كان يدرس في مسجد قرطبة، وعبثا لاذعا بمن حوله من الأشخاص الذين لا يعجبونه، ومحاكاة لأبي نواس في خمرياته ومجونياته، وهجاء مقذعا، وغزلا لا يتميز بالرقة، وربما كان اضعف فنونه، ثم حكمة قائمة على السخرية تنتهي إلى فلسفة شكلية مريرة متشائمة، ورثاء لشيخوخته وضعفه.

الأدب الأندلسي في عصر الخلافة الأُمويَّة 316- 400 هـ:

اعتاد قسم من مؤرخي الأدب الأندلسي أنْ يصفوا عصر الخلافة الأُموية في الأندلس بـ"العصر الذهبي للثقافة الإسلامية" ، فقد نهضت **العلوم والآداب** في هذا العصر، وازدهرت **الثقافة بجميع فروعها** نتيجة الاستقرار والرَّخاء ، وكان لتولي عبد الرحَّمن النَّاصر الَّذي حكم من "300 - 350 هـ"، ثم ابنه الحكم المستنصر الَّذي حكم من "350 - 366هـ" ، أكبر الأثر في دفع هذه الحياة نحو الرُّقي والازدهار، فكان عصرهما حافلاً بالوافدين من علماء المشرق بتشجيع منهما ، وعلى رأس هؤلاء الوافدين **أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي ت 365هـ** ، الذي حمل معه أكبر مجموعة من دواوين الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، وكتب اللغة والأدب المشرقية ، فأحدث ذلك تطوراً كبيراً في الحياة الأدبيَّة واللغويَّة لعصر الخلافة الأُموية ، وقامت أول مدرسة لغوية في الأندلس.

النَّـثر

اتجهت الكتابة عموماً إلى الإيجاز، وعدم الاستطراد ، فضلاً عن تأثرها بالمفاهيم الإسلامية في المعاني التي جاءت فيها ، وغلبت السُّهولة عليها في الأسلوب ، والوضوح في الألفاظ ، وكانت تتَّجه نحو جزالة الألفاظ ، ومتانتها ، واعتمدت على التَّقسيم في العبارات ، والتَّقابل بينها ، واستخدام المترادفات ، والمحسنات البديعية باعتدال ومن دون تكلف في ذلك، وقسّم بعض الباحثين نثر عصر الخلافة إلى أنماط :

الأول :

النَّثر التَّأليفي

كتب فيه الأندلسيون كثيرا من المؤلفات بأسلوب عالٍ ، ولكنَّهم على الأغلب كانوا يُجَارون في مناهج مؤلفاتهم مؤلفات المشارقة ومصنفاتهم ، وإنْ حاولوا التَّفوق عليهم من باب الاعتزاز بالشَّخصية الأندلسية ، وتأكيد الذاَّت ، ومن خلال تسمياتهم لهذه المؤلفات يتبين تأثير كتب المؤلفين المشارقة في تلك المؤلفات .

الثاني :

النَّثر الأدبي

وهو أسلوب الرَّسائل والفصول والتآليف في صميم موضوعات الأدب ، وهم يجارون المشارقة في ذلك أيضاً ، ومن المعروف أنَّ كلَّ من وصل إلى الوزارة أو الحجابة كان يتمتع بأسلوب أدبي رفيع طبع كتاباتهم الرَّسمية طابع البلاغة والأدب ، وفي طليعة هؤلاء الكتّاب :أحمد بن عمر ابن شُهيد وزير النّاصر ، والحاجب أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي في أيام الحكم المستنصر وابنه هشام ، والوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري في أيام المنصور بن أبي عامر ، والوزير عبد الملك بن جَهْور في زمن الناصر.

ومن **تآليف النثر الأدبي** في عصر الخلافة **(العقد الفريد)** لابن عبد ربّه الأندلسي ، **و (كتاب الفُصوص)** لأبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي اللغوي ، وكتاب **(الأمالي)** لأبي علي القالي ، **و(رسالة التَّوابع والزَّوابع)** لابن شُهيد الأندلسي .

وسنقف فيما يلي على أحد أبرز الكتب في هذا العصر ، ألا وهو :

1 ـ كتاب العقد الفريد / لابن عبد ربِّه الأندلسي :

يُعدّ هذا الكتاب من المصادر المهمة في المكتبة العربية، وقد انتهى ابن عبد ربّه من تأليفه سنة 322 هـ ، ويبدو ذلك في أُرجوزته التي تحدّث فيها عن تأريخ الأندلس ، ثم توقف عند عام 322 هـ ، فهو يمثل الكاتب في نضجه الثقافي قُبيل وفاته بستة أعوام .

وقد اختُلف في تسمية الكتاب فرأى عدد من الباحثين المحدثين أن اسمه " (العقد) ، ورأى آخرون أنه (العقد في الأخبار) ، وأما لفظة (الفريد) فقد أُضيفت إليه فيما بعد ، ودليلهم في ذلك المصادر القديمة التي عرّفت الكتاب إذ لم تذكر لفظة (الفريد) ، ولعلّ سبب ذلك يعود إلى الإيجاز والاختصار كما هو مألوف لدينا في المصادر فنقول : القلائد ، والجَذوة ، والبُغية ... وهكذا .

ومن عنوان الكتاب نعلم أن المؤلف تصوَّر كتابه في صورة عِقْد حباته فريدة وثمينة ؛ لذلك جعل أبواب كتابه بـ(25) باباً ، وكل باب باسم جوهرة ، واختار (12) جوهرة لأبواب الكتاب ، وقابلها بـ(12) أخرى ، ثم جعل الواسطة الـ(25) ، فلكل حجارة كريمة في العقد مثيلتها في النصف الآخر، وجعل كل كتاب منها جزأين ، فاجتمع خمسون جزءاً في (25) كتاباً ، وبدأها باللؤلؤة في السلطان ، وختمها باللؤلؤة الثانية في الفكاهات والمُلح .

<u>أما منهجه</u> : في مادة الكتاب فإنّه يختار ، وينتقي الأخبار التي هي جديرة بالجمع ، ثم ينسقها على وفق الموضوعات المتشابهة في أبواب محددة ، وقد نوّع في اختيار الموضوعات ، ولم يحصرها في صنف واحد .

ومن أهم مصادره في هذا الكتاب فهي تمثل مصادر الثقافة العربية التي سبقته ومنها : (عيون الأخبار) لابن قتيبة ، و(البيان والتبيين ، والبخلاء والحيوان) للجاحظ ، و(الكامل) للمبرد ، و(طبقات الشعراء) لابن سلاّم ، و (السِّيرة النَّبوية) لابن هشام ، و(كليلة ودمنة) لابن المقفع ، فضلا عن دواوين الشُّعراء الجاهليين والإسلاميين .

وكان هدف المؤلف الذي دعاه إلى تأليف كتابه يتلخص في :

تعريف أهل الأندلس بالمشرق ، ونقل الأخبار والمعلومات من مصادرهم ؛ لأنّ الأندلسيين مغرمون ومعجبون بكل ما هو مشرقي ، وتعريف أهل المشرق بأهل الأندلس ، وعرض ما لا يُستهان به من أخبارهم ، وتقوية ثقة أهل الأندلس بأنفسهم ، وبأنهم قادرون على ما توصل إليه أهل المشرق ، وفي هذا الصدد يقول ابن عبد ربّه في مقدِّمة عِقده : (وقرنتُ به غرائب من شِعري ؛ ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنَّ لمغربنا على قاصيه ، وبلدنا على انقطاعه له حظٌّ من المنظوم والمنثور).

ومن هنا وُصف الكتاب بأنه : (عظيم القيمة من النواحي التاريخية والأدبية والعلمية ، وهو ذخيرة أدبية حافلة بالنصوص القيّمة شعراً ونثراً ... وهو موسوعة ثقافية عربية عامة) .

الشِّعر:

نظّم الأندلسيون في عصر الخلافة في أكثر فنون الشِّعر ، وأبوابه ، ولكنهم برعوا في بعضها أكثر من الفنون الأخرى .

وظهر في هذا العصر شعراء كثيرون يصعب إحصاؤهم ، أو الإلمام بأشعارهم حتّى زخرت كتب التراجم بتفصيل حياتهم ، والكثير من أشعارهم وآثارهم ، وكان بين شعراء هذه المرحلة كثير من الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء والأدباء، ومن هؤلاء البارزين :

أبو القاسم محمّد بن هانئ الأزدي الأندلسي ، قُتِل سنة 363هـ .

غادر الأندلس إلى أفريقية وعمره 26 سنة بعد أن ضايقه الفقهاء ؛ لاشتغاله بالفلسفة ، وخروجه في غلوه إلى ما لا وجه له في التأويل ، فأشار عليه صاحب اشبيلية بالابتعاد إلى المغرب ، واستقر به المقام في مصر ، واختص بالمعزّ لدين الله الفاطمي ، ووقف مدحه عليه ، وعلى رجال دولته ، وهو عند الأندلسيين كالمتنبّي عند أهل المشرق ، وعدّوه أشعر أهل المتقدمين والمتأخرين من المغاربة .

ويغلب غرض المديح عليه ، وينماز مديحه بالمبالغة والإفراط ، وقد حاول أن يتحدى المتنبي في الاهتمام بالحكمة .

ومن شعره في مدح الخليفة المعز ، وقد بالغ في مدحه ، وهو مدح مرفوض:

ما شئتَ لا ما شاءتْ الأقدارُ ..... واحكم فأنت الواحد القهّارُ

وكَأنما أنت النَّبيُ محمّدُ ..... وكأنما أنصارُكَ الأنصارُ

أنتَ الذي كانت تُبَشُرُنا به ..... في كتبها الأحبارُ والأخبارُ

هذا إمامُ المتقينَ ومن به ..... قد دوّخ الطغيانُ والكفارُ

هذا الذي تُرجى النجاة بحبّهِ ..... وبه يُحَطُّ الإصرُ والأوزارُ

أبو عُمر أحمد بن درّاج القسطلي ت 421هـ .

أبو عمر أحمد بن درّج القسطلي نسبة إلى قسطلة ، وبعد أن شبّ رحل إلى عاصمة الأندلس قرطبة ، واتصل بالحاجب المنصور ، وتوثقت علاقته به ، وضمّه إلى ديوان الإنشاء بعد أن أصبح في مقدمة شعرائه ، والمفضل على جميعهم لديه ، وعُرف بالاستقامة الخلقية والاعتدال في السيرة ، والبُعد عمّا يشين معظم شعراء عصره ، توفي 421 هـ .

فوصفه الثعالبي بقوله : (كان بصقع الأندلس كالمتنبي في صقع الشام ، وهو أحد الفحول ، وكان يُجيد ما ينظم ويقول).

وقال عنه ابن بسّام : (كان أبو عمر القسطلي . . . لسان الجزيرة) ، وعدّه معاصروه من شعرائها المشهورة ، وآخر حاملي لوائها ، وبهجة أرضها وسمائها ، وله ديوان مطبوع ، وشعر كثير يغلب عليه موضوع المدح ، ومحاولاته تاريخ معظم غزوات المسلمين التي عاصرها وله رسائل ، وفصول نثرية ، احتفظ بالكثير منها صاحب الذخيرة ، ونثره دون نظمه بكثير ، وله أشعار رقيقة تعبر عن حبه لأولاده ، وولعه بأفراد أسرته ، ومن شعره قوله في قصيدة يمدح فيها المنصور ابن أبي عامر :

ولله عزمي يوم ودّعتُ نحوه ..... نفوساً شجاني بَثُّها وشجاها

وربة خدرٍ كالجمان دموعهاً ..... عزيزٌ على قلبي شطوطٌ نَواها

وبنتُ ثَمانٍ لا يزال يروعُنِي .... على النأي تذكاري خُفوقُ حَشَاها

وموقِفُها والبَيّنُ قَدْ جَدّ جِدّهُ .....منـوطـاً بِـحَبْلِيَ عَــاتِقَيَّ يـــداها

الشعر في عصري الطوائف:

تأسست بعد ضعف دولة الاموية ، واستمر الحكم فيها من (422هـ - 484هـ) ، إذ قامت ممالك مستقلة بشكل دويلات تماثل عهد الدويلات في المشرق في القرن الرابع الهجري ، وقد حكمتها اسر متعددة وكيانات متنوعة أشهرها سبع أسر تركزت في الحواضر الاندلسية وانقسمت الى 22 دويلة ، من أهمها : الدولة العبادية : قامت في أشبيليا وهي عربية ينحدر حكامها من اللخميين ، ودامت نحو سبعين عاماً.

ودولة بني الأفطس : أشتهرت بنهضة علمية ، وقد قامت في بطليوس ودامت ستة وستين عاماً .
والدولة الجهورية : قامت في قرطبة .

كان كل من يأنس في نفسه القدرة من رؤوساء الطوائف عرباً أو موالياً يستقل بالإمارة التي يحكمها.

نشأت بينهم حروب متصلة ، وتجاوز التنافس السياسي بينهم الى التنافس في مجال العمران والأدب ومجالس الطرب والغناء وتشجيع الكتاب والشعراء ....

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدويلات رغم ما كان من أمرهم السياسي فإن الأدب في عصرهم تجاوز طور نشأته ، كان الأدب لا يسير فيها مع السياسة ، فقد تعددت المراكز الثقافية ، وكان معظم حكامها من الشعراء أمثال المقتدر بن هود ، والمعتصم بن صمادح وعبد الملك بن رزين ، وإدريس بن يحيى ، والمظفر بن الأفطس ، وابن جهور ، وابن عباد، وبهذا أصبحت الأندلس في القرن الخامس وأوائل القرن السادس تمثل عصراً زاهياً من عصور الأدب والعلم والفن ..

ابن حزم الأندلسي (456هـ)

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن سفيان بن يزيد ، ويُكنى بأبي محمد ويلقب بالأندلسي والقرطبي ، وقد يُلقب بالفارسي نسبة إلى فارس .....

بدأ حياته في قصور والد ، وتوفيت والدته فكفله نساء القصر ، تعلم القرآن واللغة والشعر بأمر ابيه

وجه نفسه الى صحبة المشايخ وأخذ يشغل فراغه بمجالسه العلماء ، فاغترف من مناهلهم العذبة واقتدى باخلاقهم الفاضلة .....

نقد تصرفات أمراء الطوائف ، وأبرز مثالبهم وبغيهم ، ولهذا السبب وغيره من الأسباب جرت محاولات عدة للنيل من علمه وأدبه فاحرقت كتبه وعانى من السجن والتغريب والاضطهاد وضياع ما ورثه .....

وقد أثاروا عليه المعتضد بن عباد أمير أشبيلية ، فأصدر قراراً بهدم دوره ومصادرة أمواله وحرق كتبه ، تألم ابن حزم كثيراً وأنشد قائلاً* :–

إنْ تَحْرِقُوا القِرْطَاسَ لاَ تَحْرِقُوا الَّذِي تَضَمَّنَهُ القِرْطَاسُ بَلْ هُوَ فِي صَدْرِي
يُقيم مَعِي حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ رَكَائِبِي وَيَنْزِلُ أينَ أَنْزِلْ وَيُدْفَنُ فِي قَبْرِي

على الرغم من كل الأحداث والمحن والاضطرابات التي شهدها وصلت إلينا مؤلفاته ومن أبرز تلك المؤلفات وأبدعها كتابة طوق الحمامة في الألفة والآلاف.

فنونه الشعرية:

1) الغزل كان ابن حزم يأخذ على الكثيرين من معاصريه الذين كانوا ينظمون شعر الغزل ، وقد سخر من الدموع الغزار التي يذرفونها على ديار الحبيبة أو خيامها التي خلفتها ويرى أن الكلام الذي أكثر الشعراء منه في وصف بهجة الوصل لا يطابق الواقع إلا في القليل ، كقوله:

وددتُ بأن القلب شُق بمديةٍ وأدخلت فيه ثم أطبق في صــدري

فأصبحت فيه لا تحلين غيـــــره إلى مقتضى يوم القيامة والحشـــــر
تعيشين فيه ما حييت فإن أمـــت سكنت شغاف القلب في ظُلم القبرِ

2) الزهد
3) الفخر

دولة المرابطين:

نشأت هذه الدولة في المغرب من قبائل صنهاجة البربرية الذين عرفوا بالملثمين ، وكان زعيمهم عبد الله بن ياسين المعروف عنه بشدة تدينه وعندما كثر أنصاره ومريدوه نادى بالجهاد في افريقيا.

وبلغت هذه الدولة أوج قوتها على يد يوسف بن تاشفين كتب اليه ابن عباد لانقاذ الاندلس ، وسرعان ما هب لنجدتهم على رأس جيش من قبائل زناتة وحقق نصراً كبيراً ثم عاد الى المغرب ، وقد استمر الازدهار الثقافي فيها وانتعش من جديد فبرز مجموعة كبيرة من الادباء منهم..

ابن اللبانة ت 507هـ ، ابن سارة الشنتريني ت 517 هـ ، ابن حمديس ت 527 هـ ، الفتح بن خاقان ت 529 هـ، ابن الزقاق ت 530 هـ، ابن خفاجة ت 533 هـ، ابن بقي القرطبي ت 540 هـ، وابن بسام الشنتريني ت 542 .